

في استرجاع اسرائيل. فالمثال الاعلى للشعب اليهودي قد شارك فيه، وعززه، وسعى في سبيله، قطاعات كبرى من الامم التي عاش اليهود في وسطها، وبين هؤلاء يحتل الشعب البريطاني مكانة بارزة. ففي بريطانيا، اكثر من اي مكان آخر، تم تطوير فكرة الارجاع والاسترجاع الى عقيدة، واصبحت هذه الفكرة هدفاً لحركة تمتد عبر ما يزيد على ثلاثة قرون. وفي بريطانيا وحدها، استمد كبار الناطقين بلسان اجيال عديدة وحيهم عن رؤيا اسرائيل المنبعتة من جديد. وهناك، فقط، كان خلق وطن قومي يهودي قضية سياسية جديدة؛ وبصورة مستمرة، تقريباً، جرت ترجمتها اخيراً الى حيز الواقع»<sup>(٢٣)</sup>.

ويبقى العامل الاوروبي الاخير في الطمع بالمنطقة، خاصة طمع بريطانيا، هو التنقيب عن النفط، والطرق البحرية لنقله. وقد بدأ التنافس الاوروبي عليه منذ أواخر القرن الماضي، فكان ذلك عملاً اضافياً جديداً، بالنسبة الى الاستعمار الغربي، لأقامة الكيان الصهيوني<sup>(٢٤)</sup>.

من كل ذلك يتضح ان الحركة الصهيونية نشأت وترعرعت في احضان الغرب، بتشجيع منه، بعد ان بلغت حركة التوسع الامبريالي الغربي اوجها، «واتسمت، على العموم، بطابع التسابق من اجل الحصول على مناطق النفوذ في كل من افريقيا وآسيا وفلسطين ملتقى القارتين والطريق بينهما»<sup>(٢٥)</sup>.

### الصهيونية بين الحلم والتحقيق

لا جدال في ان اليهود، قبل نشوء الافكار الصهيونية، وقبل الشروع في الهجرة الى فلسطين، قد عاشوا في العالم العربي بأمان واطمئنان، كأهل ذمة، حتى اواخر القرن الماضي<sup>(٢٦)</sup>. «ولم يتبدل الموقف من اليهود الا بعد ان اخذت طبيعة الوجود اليهودي في فلسطين تتحول عن الطابع الديني والمعايشة الى الطابع الاستعماري الاستيطاني الزراعي بوحى الافكار الصهيونية والسيطرة، الامر الذي عكس نفسه، تلقائياً، في تغير موقف اليهود من السكان العرب في البلاد»<sup>(٢٧)</sup>.

غير ان الامر كان بخلاف ذلك في الغرب، لاسباب متعددة لا مجال للتوسع في سردها. وكان من جملة هذه الاسباب عدم اندماجهم في المجتمعات التي كانوا يعيشون فيها، وافتقارهم الى الولاء القومي والسمعة السيئة التي احاطت بمن يتعاطون الربى من بينهم. غير ان عملية مضايقة اليهود في اوربا خفت حدتها، خاصة في فرنسا، بعد قيام الثورة فيها العام ١٧٨٩، وبات اليهود يميلون الى الاندماج في المجتمعات التي كانوا يعيشون فيها. وقد تبدل الامر في الغرب العام ١٨٧٠، اثر خيانة الضابط الفرنسي اليهودي درايفوس، وفي حادث اغتيال القيصر الروسي اسكندر الثاني العام ١٨٨١، واثراً فضيحة قناة بنما ١٨٩٢. ونتج عن هذه الاحداث والمضايقات التي تعرض لها اليهود موقفان: موقف يهودي يبدي الرغبة في الاندماج في غرب اوربا، وموقف يرفض الاندماج في شرقها<sup>(٢٨)</sup>. وكذلك نجم عن هذه المضايقات في اوربا ما عرف باللاسامية، وبدأ التفكير اليهودي بالعودة يتحول من ديني الى سياسي، بمساعدة دولية. ومن دعاة هذا الاتجاه كاليشر، مؤلف كتاب «البحث عن صهيون»، وهيس، مؤلف كتاب «روما والقدس»، وبنسكر، مؤلف كتاب «التحرر الذاتي». والى جانب التأليف والكتابة، نشأت جمعيات «احباء صهيون»، ونشطت في العمل لاقامة الوطن القومي اليهودي. وبدعم مالي من روتشيلد، بدأت بالاستيطان في فلسطين العام ١٨٨٢؛ وبذلك بدأت فكرة الوطن القومي تنتقل من حيز الفكرة الى حيز الواقع<sup>(٢٩)</sup>.

### المرحلة الهرتسلية، نظرياً وعملياً

استمرت الحركة الصهيونية، قبل هرتسل المجري، مشتتة الافكار، تفتقر الى التنظيم،